Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما زال حافظ يصوّر هذه المأساة مصوبا سهام أشعاره إلى صدر كرومر وصدور الإنجليز من ورائه مذكيا فى أمته نار الألم لهذا الاعتداء الوحشى الفظيع، محاولا أن يدفعها لمطالبتها بالحرية وحقوقها السياسية. لقد أصبح – بحق – شاعر الشعب الثائر وصوته الناطق ضد المحتل وبغيه وبطشه. وما يلبث مصطفى كامل زعيم الشعب وقائده فى جهاد المحتل الغاصب أن يَذْوى غصنه الفَيْنان، ويلبى نداء ربه، فيتولاّه جزع ما بعده جزع وحزن ما وراءه حزن، ويبكيه بقصائد ثلاث بكاءً حارًّا، بكاء يصور فيه فجيعة الشعب فى زعيمه وما أوقدت فيه من جَمْر اللوعة والأسى. ويدور عام، وينتهز حافظ فرصة العام الهجرى ويحيى قدومه لسنة ١٩٠٩ ويلتفت إلى شباب مصر، ويستثير حماستهم وحميتهم للمطالبة بالتحرر هاتفًا بمثل قوله:

رجالَ الغَد المأمولِ إنّا بحاجة ... إليكم فَسُدُّوا النَّقْصَ فينا وشَمِّروا
وكونوا رجالاً عاملين أعزّةً ... وصونوا حِمىَ أوْطانكم وتحرَّروا
فما ضاع حقٌّ لم يَنَمْ عنه أهلُهُ ... ولا ناله فى العالمين مقصِّر

وبدون ريب بلغ حافظ فى شعره الوطنى منذ الثلاثين من عمره مكانة رفيعة تقصر عنها الأطماع، إذ مضى يسخره لمنازلة أعداء الوطن، ولكى يملأ صدور الشباب حماسةً وفتوّة وقوّة، حتى يخرجوهم من ديارهم مدحورين. كل ذلك والمحتل الآثم فى عنفوان سطوته وجبروته، غير أن حافظًا لم يكن يخشاه ولا كان يحسب له أى حساب، مع مايبثّ من العيون والأرصاد. وما يلبث الإنجليز أن يصدروا قانون المطبوعات تهديدًا لزعماء الحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى كامل، ومن أجل أن يكمِّموا به أفواه الصحافة وغير الصحافة، ويثور حافظ على هذا القانون الجائر ثورة عنيفة، ويدعو فى شجاعة إلى الانقضاض عليه، مهما كلف المصريين من الدماء وغالى الفداء حتى ليصيح فى قصيدة طويلة:

إن البليَّةَ أن تُباع وتُشْتَرى ... مصرٌ وما فيها وأنْ لا نَنْطقا
فتدفَّقوا حُجَجا وحوطوا نِيلَكم ... فلكم أفاض عليكمُ وتدفَّقا
وامشوا على حذرٍ فإن طريقكم ... وَعْرٌ أطافَ به الهلاكُ وحلَّقا